الشيخ عبد الوهاب النجار (*)

جهوده فى جمعية الشبان المسلمين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لما قبض الله إلى جواره الكريم المغفور له المجاهد الشيخ « عبد العزيز شاويش بك » الوكيل الأول لهذه الجمعية ، تلفت أعضاؤها يبحثون عمن يملأ مكانه الخالى ، فلم يجدوا غير فقيدنا العزيز الذى اجتمعنا اليوم لتأبينه . إذ كان الشيخان — أسبغ الله عليهما فيوض رحمته — نظيرين فى الدعوة إلى الله والعلم بأسرار الإسلام والبذل فى سبيله والوقوف على أسرار تشريعه ومناهج دعوته ، مع اطلاع واسع فى مقارنات الأديان ، وقدرة على حل كثير من العقد الاجتماعية التى تشغل بال الشباب فى ظروف الانتقال الخطير التى يجتازها الشرق الإسلامى

وإذا كان الأستاذ « شاويش » لم يمد الله فى أجله طويلاً فى خدمة هذه الجمعية ، بعد أن اشترك بجاهه وخبرته فى دور تأسيسها ، وتمهيد العقبات الأولى أمامها ؛ فقد مد الله وبارك فى خدمة الأستاذ « النجار » لهذه المؤسسة حتى نمت واتسعت جهودها الدينية والاجتماعية

فمنذ ثلاث عشرة سنة والفقيد دائب على القيام بواجباته فيها ، يأنس به الشبان ويستفتونه فى قضايا الإسلام والشبهات التى تتراءى على عقولهم فى فترة الانتقال واحتكاك العقل الشرقى بالعقل الغربى ، وهو يفتيهم ويدحض ما يحوك فى صدورهم من الشبهات ، ويدخل على قلوبهم الطمأنينة وبرد اليقين وقوة العقيدة

وقد ساعده على الاقتراب من قلوبهم والدخول إلى عقولهم اتصاله بنصيب وافر من العلوم العصرية التى كان يعلم منها ما جعله ابن زمانه وربيب عصره لا رجلاً متخلفاً عن ملاحقة سير الحياة بالأحياء وسرعة نمو هذه المدنية العجيبة التى تتفتح فيها أسرار الطبيعة للعقول تفتحاً متلاحقاً يحير الألباب ويثير الدهشة ، ويكشف عن كلمات الله التى ليس لها نهاية ولا نفاد !

فكان عليه رحمة الله يعلم من مباحث علوم الطبيعة والكيمياء والكهرباء وفنون الصناعات والآليات ما كان يثير إعجاب من يسمعونه وهو شيخ معمم تقدمت به السن ، وتوجه فكره من قديم إلى الأدبيات وعلوم اللغة والشريعة والجدليات وما إليها من الميراث الشرقى النظرى

ولا عجب أن يكون فقيدنا كذلك ؛ فقد كان يحمل بين جنبيه قلب شاب ويحمل فى رأسه عقل حكيم . وشباب القلب وحب الحكمة نعمتان جزيلتان تجعلان صاحبهما متفتح الفكر

(*) خطبة فى حفلة تأبين الفقيد بدار المركز العام لجمعيات « الشبان المسلمين » بالقاهرة .

أن الدكتور طه لم ير من أمه غير الشمائل الأصيلة فى الرفق والعطف والحنان

حديث الدكتور طه عن أمه حديث نفيس جداً ، وهو يصدر عنه بحرارة وجدانية قليلة الأمثال . ألا ترون كيف صورها بأساليب مختلفات تشهد بأنه كان بها من المفتونين ؟

من المفهوم أن الرجل لا يستطيع أن يذكر أمه بغير الجميل ، ولكن الدكتور طه يخلق الفرص خلقاً ليتذوق النعيم بتصور ما كانت أمه تذرف من الدموع وهى تعد الزاد الذى يرسل إلى أبنائها الغائبين

كان الطفل فى غرفة منلقة النوافذ فى يوم صائف ، فلما خرج تروّح النسائم الرطاب ، فتذكر ما كانت أمه تطبع على جبينه من القبلات

والأم التى أنجبت طه حسين خليقة بكل إعزاز وإجلال

أما بعد فهذا كتاب

وأى كتاب ؟ هو صفحات مقبوسة من القلب والروح ، كتبها أديب مرهف الأعصاب ، بعد أن تجنى عليه الوجود بلا رحمة ولا إشفاق

قال أستاذنا السنيور نالينو ، ونحن نذكر عاهة طه حسين :

A sa place, je serais perdu !

وأقول إنى لم أنقد الدكتور طه يوماً وأنا أتصور أنه ضرير ، فما قد قلبى من الصخر حتى أصوب سنان القلم إلى رجل مكفوف ، وإنما أنقده وأنا جاهل بحالته الشخصية ، كما تعبر الأوراق الرسمية طه حسين ليس بضرير ، وإنما هى دعوى حمله عليها حب التطرف ، وسيبقى هذا الرجل شاهداً على أن البصر السليم هو بصر القلوب

زكى مبارك

متجدد العزم متلفت الذهن نحو ما تلده الليالي من أعاجيب الحياة، بريئاً من الاشتغال بالأضغان الغليظة والسخافات التافهة التي تشغل بال الجهال وتصرفهم عن ملء قلوبهم وأوعيتهم بأسرار الوجود

وإلى هذه الصفات في الفقيد كان يرجع أنس الشباب به وحبهم إياه وحبه إياهم وفهمه عقليتهم ومنازع نفوسهم في زمانهم

يضاف إلى تلك الصفات أنه كان مؤرخاً واعياً وقصاصاً مملوء الحافظة بحوادث التاريخ ونوادر الرجال، فكانت مجالسه عامرة بأعذب القصص وأطرف الحكايات. وتلك ميزة محببة إلى نفوس الناس جميعاً وخصوصاً الشبان الناشئين الذين يسرهم كثيراً أن يستمعوا لأحاديث الغابرين وصور الماضي تلقيها وتعرضها عليهم شيخوخة جليلة يتكلم الزمان على لسانها ويتحدث من خلال بيانها

وقد نفع الله شباب هذه الجمعية بالفقيد كمؤرخ إسلامي أجل نفع؛ إذ كان لما يسرده من تاريخ الإسلام ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وأبطاله ومغازيه وذكرياته وفتوح سيوفه وأقلامه، أثر بالغ خالد في توجيه نفوسهم إلى إحياء تلك الذكريات الغاليات والأمجاد الخالدات

وقد سمعت من السيد رشيد رضا رحمه الله قوله: إن العقيدة الإسلامية لا يربيها ويثبتها في القلوب إلا قراءة التاريخ الإسلامي؛ وإن أثر قراءة هذا التاريخ في تكوينها أعظم بكثير من قراءة كتب العقائد والجدليات

وهذا قول صادق تزيده الأيام تأييداً. فكلما زاد اطلاع المسلمين على تاريخهم ونشطت الطبيعة في إخراج دفائنه ازدادت عقيدتهم رسوخاً وإيمانهم بأنفسهم وثوقاً

وقد جمع الفقيد إلى صفات المؤرخ الإسلامي ضلاعته في الاطلاع على الأديان الأخرى، وحفظه كثيراً من نصوص التوراة بالعربية والعبرية التي كان يحذقها، والأناجيل وإلمامه بأقوال شراحها، واستخلاصه من كل أولئك ما يؤيد رسالة الإسلام ويجلو أوصاف رسوله كما وردت في تلك الكتب، مما ملأ أيدي الوعاظ والدعاة الإسلاميين بالحجج المدافعة عن دينهم في مجال الجدل الديني، ومما جعل الشبان في عصمة من أضاليل الإرساليات الدينية الأجنبية التي همها تشكيك المسلمين في رسالتهم الخالدة

* * *

وحين رأت هذه الجمعية أنه لا يتم صلاح لهذه الأمة إلا بصلاح نصفها الذي طال إهماله — أعني نساءها — لأن هن الأساس في بنائها والمتصرفات في قلوب نشئها، وعزمت أن تنشئ لهن دروساً دينية عهدت إلى الفقيد بإلقائها وتنظيمها بالاشتراك مع المغفور له شيخ العروبة أحمد زكي باشا. فنهضا بذلك نهضة كان لها أثرها. إذ حملت كثيراً من فضليات السيدات والآنسات المسلمات على تأسيس جمعيات نسوية للدعوة الدينية بين النساء وتوجيههن إلى فهم أسرار دينهن، مما يبشر بتحقيق الآمال في حركة الإصلاح

* * *

لم يكن نشاط الراحل الكريم قاصراً على خدمة أغراض هذه الجمعية في داخل حدود مصر، بل تعداها إلى البلاد العربية والإسلامية الشقيقة، فقام إليها بسفارات عدة وأسفار بعيدة؛ إذ اشترك في أول مؤتمر إسلامي عام حين عقد بالقدس خاصاً بقضية فلسطين سنة ١٩٣١، وتزعم الرحلة التي قام بها جوالة الشبان المسلمين في صيف السنة ذاتها إلى فلسطين وسوريا ولبنان — وكان وجوده على رأسها من أعظم أسباب الترحيب بها والالتفات إليها من السلطات والأندية الدينية والاجتماعية التي كان له فيها ذكر مرفوع. ثم قام برحلة مع جوالة الشبان المسلمين كذلك إلى تركيا في صيف سنة ١٩٣٤

ولكن أعظم رحلة قام بها في خدمة أهداف الجمعية هي رحلته إلى الهند سنة ١٩٣٦ في البعثة الأزهرية التي بعثها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي لدراسة شئون طائفة المنبوذين في الهند تمهيداً لدعوتهم إلى الإسلام ولدراسة شئون إخواننا المسلمين هناك عن قرب، وإنشاء روابط تعارف بين رجالنا ورجالهم

هذه الرحلة الشاقة التي ركب الفقيد فيها البر والبحر والجو — وتنقل فيها ببلاد الهند الواسعة يخطب ويكتب ويتحدث، وهو الشيخ المعمر الذي يحتاج إلى الراحة والسكون ... هي أعظم شهادة له تدخله في عداد المجاهدين الصادقين والعلماء العاملين الذين وهبوا الله جهودهم وأعمالهم بعد ما وهبوه ألسنتهم وأقلامهم إلى آخر رمق من حياتهم. والذين يعلمون أن العمل للإسلام في هذا العصر لا يكون بتحصيل العلوم وتأليف الكتب وحدها بل لا بد معه من النزول إلى ميدان الجهاد العملي والاشتراك في المعترك الأبدي بين الخير والشر والإصلاح والإفساد ...